سورة الشورى

obeikandl.com

﴿ سورة الشورى ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۝ ﴾

تكاد السموات يتفطرن من فوقهن، ولم يقل من تحتهن وإنما ذكر الفوقية ها هنا لاختصاصها بالجناب الإلهى الرفيع، وإنما حدث لها التفطر من جهة العلو من أجل قوة التجليات الإلهية النازلة عليها ولا تجد لها احتمالاً.

﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ ﴾

وهؤلاء هم حملة العرش، الذين يستغفرون للذين آمنوا، وقد ذكرهم الحق تعالى فى سورة غافر قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾.

واللفظ ها هنا يشعر بالعموم حيث أطلق على من فى الأرض، وفى حقيقته للخصوص، إذ قد يفهم منه أن الذين يستحقون الاستغفار الحقيقى هم أهل الإيمان فقط، وهؤلاء هم المنظور إليهم من أهل الأرض، والباقون سقطوا من عين الله، فلا يحتسبون أنهم من أهل

الأرض لقوله تعالى: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾، فالأنعام سقطوا من عين الله، وذلك لكونهم خرجوا عن التكريم الإلهى الذى افترضه الحق تعالى للآدمى الحقيقى قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾

هذا ولكى يعلم أفضلية الاستغفار وعلو قدره عند الحق عز وجل، فإنه ما كلف به حملة العرش إلا لعلو شأنه عند الله تعالى.

ثم أعلمنا الحق عز وجل أن العارف بأنفاسه الشريفة هو أعلى من كل هذه الأشياء، سواء الملائكة أو الاستغفار أو العرش نفسه، وإلا لما سخر له هذه الأشياء لكى تستغفر له، يقول تعالى فى الحديث القدسى: ((**ما وسعنى سمائى ولا أرضى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن**))، وقد أشار إلى هذه الحقيقة أبو القاسم ﷺ عندما أشار إلى الكعبة فقال: ((**والله إن لك لحرمة وإن حرمة المؤمن عند الله أشد من حرمتك**)).

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ ﴿١٤﴾ ﴾

فإن العارف لا يفطم عن أبيه ولا يفترق عنه إلا بعد أن يأتيه العلم اللدنى الباطنى، ولذلك صدق من قال منهم لتلميذه إذا فتح عليه الفتح الأكبر إن لم تفارقنى أصابك الضرر، ويقول عن هذا المقام شيخنا قطب الأكابر وخاتم الأولياء المحمديين سيدى أحمد التجانى قدس الله أسراره: كل من فتح عليه الفتح الأكبر من أصحابى ولم يخرج من فاس أصابه الأذى، هذا ليس منى وإنما هو من الله .

ولما دخل أبو الحسن الشاذلى ﷺ الإسكندرية وكان بها أبو الفتح الواسطى قال أبو الفتح: طاقية لا تسع اثنين فمات لليلته.

﴿ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ ﴿١٤﴾ ﴾

أى أن صاحب هذا المقام قد بغى على أخيه بعلمه ودرجته ومقامه

لكونه أخرجه عن وسعه ، ولو نظر الناظر فى مقامات الصحابة لوجدهم كلهم فى بلدة واحدة ولم يصدر منهم مثل هؤلاء الأقطاب ، وذلك لأجل إظهار فضل أصحاب رسول الله ﷺ ولكمال خامتهم ونقاء جوهرهم.

﴿ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ ﴿١٥﴾ ﴾

أى لتكن استقامتك على أكمل وجه ظهر لآدمى عرفته الدنيا ، فأنت مظهر الكمال الإلهى ومنبعه.

﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾

أى يستعجل أهل الكثائف والظلمات بعذابه ويتوعدهم بقهره، وأما أهل المعرفة الحقة من أهل القربى فهم مشفقون من مراحل الساعة لعدم أمنهم من مكر ربهم وهو مقام الصديق ﷺ حيث قال ((والله لو كانت إحدى قدماى فى الجنة والأخرى خارجها لما أمنت مكر الله)) .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

فهو سبحانه وتعالى لما كان وكيل العبد فهو يقبلها وكالة عنه – أى التوبة – إسقاطاً لحقه فيها وحق عباده فيها أيضاً .فهو تعالى فعال فى ملكه ما يريد ويسقط عن عبده الصالح كل معاصيه – إن شاء –

بالوكالة الأصلية عنه.

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

وهذا لعدم طاقة الروح لحمل المعارف دفعة واحدة فقد تصعق بما قد لا تحتمله، ولكن الذى برأها رأى أن ينزل عليها من تلك الأواني بقدر ضئيل شيئاً فشيئاً، وهذا كحال موسى لما طلب مقام الرؤية، فعلم الحق سبحانه وتعالى عدم طاقته له إلا بالتجلى على الجبل، وهذا شئ قليل وقدر ضئيل مما حدث لسيدنا محمد ﷺ ليلة الإسراء، وكل إناء له وسع معلوم

﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

هذا لكى يعلم الوجود بأنه المحرك الأصلى له، وأن هذا الوجود كله بغيره لا شئ، فقوة الحديد والأسمنت القابضة منه هو سبحانه، وصعود الطائرات وهبوطها بقدرته وإمساكه لا بذكاء المهندس الفاعل لها والمصمم لهياكلها.

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

أى فما أوتيتم يا أهل الدنيا من كل متعة إنما هو من زخرف الدنيا سوى ما عند الله، هذا لكون أهل الدنيا ليسوا من أهل الله تعالى، فما عند الله ليس لهم، إنما لمن هم خير منهم وأبقى.

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

الوحى عندنا لم ينقطع إلى قيام الساعة، أعنى الوحى العام المطلق والذى تدخل النحل تحت حيطته قال تعالى:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾، وهذا الوحى تدخل فيه أهل الله من الصالحين والخواص بخلاف وحى الأنبياء فهو وحى خاص بهم قد انقطع بموت سيدنا محمد ﷺ.

واعلم أنه سبحانه لم يكلم أحبابه إلا بالوسائط لخوفه عليهم من الصعق والموت، سوى سيدنا محمد المجتبى المرتضى ﷺ فإنه وقف فى موقف المواجهة، وانظر ما حدث لموسى عليه السلام لما أراد أن يقف فى موقف المواجهة كنبينا محمد ﷺ، فقد أصابه الصعق.